HNSJ Humanitarian & Natural Sciences Journal
ISSN: (e) 2709-0833
www.hnjournal.net
مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية
مجلة علمية محكمة

عنوان البحث

مناهج الفكر التربوي عند علال الفاسي المغربي وأثرها في تجويد تدريس العلوم
"دراسة تحليلية تركيبية "

د.عبد الرحمان بنويس[1] د.الحسن أشفري [2]

[1] جامعة ابن زهر أكادير المغرب[1]

2 جامعة ابن زهر أكادير المغرب

تاريخ القبول: 2020/12/17م تاريخ النشر: 2021/01/01م

المستخلص

يزخر الفكر التراثي المغربي بمجموعة من الآراء الإصلاحية التي من شأنها أن تنهض بمجال التربية والتكوين وتسهم في تجويد منهاج تدريس العلوم الإسلامية، ومن أمثال هؤلاء المتأخرين المغاربة؛ المختار السوسي، وعلال الفاسي، والمهدي المنجرة...، بحيث إن فكرهم تضمن مساراً إصلاحياً لا يقف عند زمن محدد بل هو ساري المفعول بإذن ربه. ونحسب أن مكان نَخْلِ وكشف هذا الفكر هو كتبهم الغنية التي ألّفوها وخصّوها بإصلاح التربية والتعليم من حيث المناهج والبرامج القادرة على تجويد تدريس العلوم الإسلامية، والعلوم الإسلامية تتضمن علوم الدين وعلوم الدنيا والسعي وراء خدمتها هو سعي إلى تحقيق المقاصد العظيمة المتجلية في نشر العلم لتطوير الإنسان والمساهمة في الارتقاء بالمجتمع؛ والسعي إلى بناء حضارة علمية تنفع البلاد في العاجل والآجل؛ بالإضافة إلى ترك خلف مُكوَّن ومزود بعلم تدريس السلف؛ وأخيرا ترقية منظومة التعليم لإحياء علوم لها صلة بالإنسان والإسلام. وأمام هذه المقاصد المتنوعة سعيت إلى البحث تنقيبا في تراث أسلافنا المغاربة لاستخراج فكرهم التربوي وكيف يمكن توظيفه في مجال تدريس العلوم الإسلامية بالمنظومة التعليمية؟ وقد اهتديت إلى تخصيص المرحوم علال الفاسي نموذجا لهؤلاء الأعلام الذين خلّدوا اسمهم في جانب الإصلاح التربوي، وقدموا آراء توجيهية تسعى إلى تجديد المناهج التدريسية في العلوم الإسلامية وبتجليات مآلية واستشرافية.

الكلمات المفتاحية: مناهج التدريس – الفكر التربوي – مناهج الفكر – المنهاج البيداغوجي – مقاصد التربية – مداخل الإصلاح – منظومة التكوين.

[1] عبد الرحمان بنويس، البريد الإلكتروني banouiss1991@gmail.com بإشراف وتوجيه الدكتور لحسن أشفري، أستاذ التعليم العالي بكلية الشرعية والقانون بجامعة ابن زهر أكادير المغرب.

RESEARCH ARTICLE

EDUCATIONAL CURRICULA OF ALAL FASSI, MOROCCO, AND THEIR IMPACT ON THE TEACHING OF SCIENCE. "ANALYTICAL STUDY

Dr. Abdel-Rahman Benwais [1] d. Al-Hassan Ashfari [2]

[1] Ibn Zahr University, Agadir, Morocco
[2] Ibn Zahr University, Agadir, Morocco

Accepted at 17/12/2020 **Published at 01/01/2021**

Abstract

Moroccan heritage thought is full of a set of reformist views that will advance the field of education and training and contribute to the strengthening of the curriculum for teaching Islamic sciences, such as those of the late Moroccans, Mokhtar Sussi, Alal El Fassi, and Mahdi Al-Manjara... Their thinking guarantees a reform path that does not stop at a specific time, but is valid with the permission of his Lord. We think that the place of sifting and revealing this thought is their rich books, which they have written and dedicated to the reform of education in terms of curricula and programs capable of enriching the teaching of Islamic sciences, and Islamic sciences, including the sciences of religion and the sciences of the world, and the pursuit of its service is to seek and serve the great objectives of spreading science for the development of man; And Islam. In the face of these diverse purposes, I have sought to explore the heritage of our Moroccan ancestors to extract their educational thinking and how can it be used in the teaching of Islamic sciences in the educational system? I have been guided by the allocation of the late Alal al-Fassi as a model for these flags, who have immortalized their name in the educational reform aspect, and have provided guiding opinions seeking to renew the teaching curriculum in Islamic sciences and in automated and forward-looking manifestations.

Key Words: teaching methods, educational thought, thought curricula, pedagogical curricula, educational purposes, entrances to reform, training system.

المقدمة: تعتبر **مناهج التدريس** في المنظومة بمثابة المَوَجِّه الفعلي للعملية التعليمية التعلمية، وهو ما يُسهم في حُسن تخطيط البناء المنهجي للدرس ويساعد على تنزيل الأهداف إنْ على مستوى العمليات وقياس درجاتها، أو على مستوى **المخرجات**، بل المناهج هي التي تبين لنا مدى نجاح المواد الدراسية من فشلها، وقد يكون ضعف المناهج الدراسية سبباً مباشرا في ضعف **المنظومة** في مختلف مجالاتها؛ إما في ضعف **الكفاءات**، أو في ضعف **التخطيط** أو في **طرق التنزيل والتقويم**... ومن فضل الله علينا أن مَنَّ علينا بخبراء ومتخصصين في هذا المجال بيّنوا وشخَّصُوا مكامن الخلل واقترحوا البدائل والحلول، لأن لهم قدما راسخة في **ديداكتيك تدريس العلوم الإسلامية**؛ نظريا وتطبيقيا مستقاة من تراث وفقه السابقين.

ونحن في هذا الموضوع لا يكفينا الوقوف عند التطبيق بقدر ما نسعى إلى الغوص والتنقيب في تراثهم وفي كتبهم لاستنباط ملامح فكرهم ومناهج نظرهم في تدريس العلوم الإسلامية، ومن هؤلاء الأعلام الذين تطرقوا إلى هذا الموضوع، العلامة **المرحوم علال الفاسي المغربي**؛ الزعيم السياسي والخبير التربوي، ففكره حوى بعض الآليات والأسس التي من شأنها أن توظف في مجال التربية والتعليم والتكوين، وخاصة ما يتعلق بتدريس اللغة العربية والعلوم الشرعية والتربية على المواطنة، فبين ذلك بيانا شافيا من حيث اختيار **البرنامج** مع مراعاة أحوال الفئة المستهدفة والمدة الزمنية أو طبيعة خصيصة المادة المعرفية وسبل تنزيلها وتصريفها وطرق تقويمها وقياسها.

وبالنظر إلى فكر علال الفاسي رحمه الله نجد أنه مجال منهجيّ للمُنَظّرِين والباحثين والمتخصصين في ديداكتيك العلوم ومناهج التدريس، سواء كانت علوما إسلامية أو علوما إنسانية، بل إن كتبه تضمنت العديد من الأمثلة التطبيقية التي تُيَسّر سبل تطوير المناهج الدراسية بالمدرسة والجامعة، وهذا الأمر هو الذي جعلني أختار هذا العَلَم لأبين ملامح فكره التربوي ومناهج تفكيره وتدريسه للعلوم الإسلامية، باعتباره أستاذا ممارسا بالتعليمين العتيق والعصري بالقرويين ومعاهد فاس، وخبيرا مصلحا لكل الأسلاك التعليمية، وقد خصَّصَ – رحمه الله – كتابا ضمن كتبه العلمية لإصلاح التدريس ووضع فيه أسسا علمية وأخرى بيداغوجية لتجويد منهاج تدريس العلوم الإسلامية، دون أن يتغافل عن مداخل التجديد في كل عنصر من عناصر هذه المنظومة الشاملة سواء في التقويم أو التنفيذ أو التخطيط، كما عمد إلى وضع شروط ومحدِّدات خاصة لمنظومة التربية والتعليم والتكوين ودورها في الارتقاء بمؤسسات العلوم، وأيضا في تصريف هذه المعارف والمضامين وسبل تدريسها وتدارسها، وكل ذلك نابع من إرادة ونقد ذاتيين تحقيقا **للمقاصد** السابقة، وفي هذا الشأن اقتطف نصا ثمينا لعلال الفاسي رحمه الله يقول فيه: "إن ثروتنا العقلية والروحية كبيرة، وما علينا إلا أن نمتحن ضميرنا ونرجع لأنفسنا وإذا بنا نكتشف المناهج المتعددة لتنظيم حالنا دون أن نضطر إلى الرضا بتبعية معنوية لبعض المبادئ الأجنبية"[1] وإنما الذي يرغب فيه علال الفاسي هو حرية الفكر، لأن **حرية الفكر في مجال التربية والتكوين تخلُص بنا إلى جودة الإنتاج** والإبداع وحسن البناء.

بناء على هذا فقد توخيت من هذه الورقة العلمية تحقيق **الأهداف** الآتية:

- الكشف عن الفكر التربوي لعلال الفاسي؛
- بيان تجليات مداخل تجديدُ تدريس العلوم الإسلامية في مجال التربية والتكوين والتعليم؛
- بيان نماذج الإصلاح التربوي الخاص بتدريس اللغة العربية والتربية الدينية والتربية على المواطنة في المنهاج التعليمي؛
- استثمار الآراء التربوية في تطوير ديداكتيك تدريس العلوم الإسلامية استخراجا او استنباطا؛

وقد قسمت مواد هذا العمل إلى المحاور الآتية:

- **الأول:** الفكر التربوي عند علال الفاسي

- **الثاني:** مداخل تدريس العلوم الإسلامية عند علال الفاسي
- **الثالث:** أثر فكر علال الفاسي في تجويد تدريس العلوم الإسلامية بالمنظومة التعليمية

المنهج الموظف: إن السعي وراء استنباط واستخراج الفكر الإنساني وتشخيصه تحليلا وتعليلا يقتضي توظيف **المنهج التحليلي** من خلال النظر في **استخراج** الفكر التربوي التراثي عند علال الفاسي رحمه الله **وتحليله** تحليلا عميقا، مع تعليل ذلك ببيان سياق الإصلاح الفكري الذي اقترحه علال الفاسي للارتقاء بمنظومة التربية والتعليم والتكوين في زمانه، **وتركيب** كل ذلك تركيبا شموليا من خلال الوقوف عند أهم المحطات الإصلاحية المفعَّلة والتي بقي صداها إلى زماننا هذا، دون الإغفال عن **تقويم** فكره واستثماره من أجل **اقتراح** بعض الأسس التي يمكن توظيفها لتجويد تدريس العلوم الإسلامية بالأسلاك التعليمية.

إن الغوص في مناهج التدريس عند عَلَمٍ خَبَرَ المنظومة التربية وخاصة تدريس العلوم الإسلامية يقتضي طرح **الإشكالات والأسئلة** الآتية:

- ما تجليات الفكر التربوي عند علال الفاسي؟
- وباعتباره أستاذا في تدريس العلوم الشرعية بجامع القرويين وبالعديد من الجامعات أين يتجلى تصوره في تجديد تدريس العلوم الإسلامية؟
- وما آفاق تدريس العلوم الإسلامية بالمنظومة التعليمية وسبل تطويرها؟

ومعالجتي لهذا الأسئلة العميقة **تفرض** عليَّ اقتراح بعض الأجوبة المُؤَقَّتة التي قد تساعد في الغوص في هذا الموضوع، سعيا إلى تعميق النظر في الفكر التراثي المغربي عند علال الفاسي، واستخلاص آرائه واستثمارها سعيا إلى اقتراح بدائل يمكن الاستعانة بها في تجويد تدريس العلوم الإسلامية/ الإنسانية في المنظومة التربية، وعليه فإنني **أفترض** لتفسير الإشكالات السابقة ما يلي:

1- كتب التراث المغربي تزخر بالعديد من الآراء التربوية التي يمكنها أن تقدم لنا مصوغات للرقي من مخرجاتها؛
2- آراء علال الفاسي – رحمه الله – هي فكر إصلاحي انبثق من خبرته مجال التدريس؛
3- لا سبيل إلى تجويد تدريس العلوم الإسلامية بالمنظومة المعاصرة إلا من خلال الرجوع كتب التراث ونخلها وإدراك واستيعابها.

المحور الأول: الفكر التربوي عند علال الفاسي

علال الفاسي –رحمه الله– هو من مواليد 1910م بفاس، ينحدر من أسرة عريقة في العلم والتعليم، تربَّى في كنف أسرته فجمع العلم والتعلم وآدابهما قبل الالتحاق بالتعليم الرسمي، دَرَس بالقرويين واشتغل أثناء الدراسة بحركة تنظيم الطلبة إلى أصبح أستاذا مشهورا يقبل عليه جميع طبقات المجتمع لعلمه الغزير وفكره الواسع، كما عمل مدرساً بالمدرسة الناصرية بعد تخرجه من القرويين، كما كان له جَامِعُ القرويين فضاءً لتصريف مضامين الإصلاحات بمختلف تجلياتها العلمية والتربوية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، الأمر الذي جعل سلطات الحماية الفرنسية تمنعه من التدريس، وتعتقله وتنفيه عن بلده...

ومكانته العلمية في الوسط الفاسي والمغربي جعلته يتزعم حركة السلفيين المغاربة المطالبين بالإصلاح، إضافة إلى عمله الأكاديمي أستاذا محاضراً بكلية الشريعة التابعة لجامعة القرويين بفاس قديما، وأستاذاً زائراً بكليتي الحقوق والآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط، ومحاضراً بدار الحديث الحسنية بالرباط، بل هو صاحب فكرة إنشاء وزارة للشؤون الإسلامية بالمغرب، كما أسهم في تطوير جامعة القرويين واستحداث كلية الشريعة وكلية أصول الدين وكلية اللغة العربية، قبل أن يطرأ عليها التعديل الأخير[2]، كما استمر في إصلاح التعليم العالي بالمغرب بِحَثِّهِ الملك الحسن الثاني سنة 1964م على إنشاء دار الحديث الحسنية واقتراح

بعض مساراتها.[3]

وأما عن مسار فكره المتعدد، فعلال الفاسي رحمه الله كان زعيما سياسيا معروفا على رأس الحركة الوطنية، وزعيم حزب الاستقلال كما قام بصياغة رفقة زملائه في الحزب مجموعة من المواثيق الإصلاحية في مختلف المجالات، كما خبِر مجال الصحافة من خلال كتابته بالعديد من الجرائد الوطنية والدولية، وكان مناضلا يصدع بالحق في هذه الوسائل ومحرضا الأمة العربية على الانتفاضة ضد الاستعمار من أجل تذوق الحرية في بلدانهم وأوطانهم، وذلك ما سبب له التعرض لمجموعة من محاولات اغتيال، فتنقل بين العديد من البلدان العربية والغربية فالتقى بالعديد من الرواد المناضلين الذين يقودون ثورات الإصلاح ببلدانهم والدفاع عن تحرر الشعوب.

فقد كان رحمه الله من أهم رجال الإصلاح الاجتماعي، فإنه أسهم في اقتراح مشروع الميثاق العربي والذي قدمه للدولة المغربية لكي تُرَقّي من خدماتها اتجاه المواطنين، كما شكّل بفاس "لجنة التقويم الخُلقي" هدفها توعية المدمنين على المخدرات والخمر.

وفكره الاجتماعي والسياسي والتربوي صرفه في عدد من المؤلفات منها "عقيدة وجهاد، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، دفاع عن الشريعة، محاضرتان عن مهمة علماء الإسلام، الإسلام وتحديات العصر، دفاعاً عن الأصالة، شرح مدونة الأحوال الشخصية، تاريخ التشريع الإسلامي، المدخل للفقه الإسلامي، المدخل لعلوم القرآن والتفسير، بديل البديل، نضالية الإمام مالك، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، وغيرها؛ وله كتب باللغة الفرنسية.. وأما ما له علاقة بالنَّفَس التربوي هو كتابه "النقد الذاتي"، ويعتبر من أحسن ما ألف في الفكر التربوي المغربي.

وأما ما له علاقة بالعلوم الإسلامية، فقد كان علال الفاسي عضواً ومقرراً عاماً في لجنة مدونة الفقه الإسلامي التي شُكلت في فجر الاستقلال المغربي، كما كان له باعا طويلا وقدما راسخة في الفقه الإسلامي وخاصة الفقه المالكي والفقه المقارن، وله اجتهادات فقهية يحتج بها علماء المغرب والجزائر وتونس، كما أن تدريسَه للقانون والتشريع الإسلامي في الجامعة مكَّنه من ضبط آليات الإصلاح في التعليم العالي، ومن توجيه آراء إصلاحية في مختلف الأسلاك، وخاصة ما يتعلق بعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد والقضاء وعلم المناهج والبرامج، إذن فأين مظاهر الفكر التربوي عند الفاسي رحمه الله؟

إن ذلك الإشكال يمكن إجمال أجوبته في المستويات الآتية:

أولا: الفكر: إن تجليات الفكر التربوي عند علال الفاسي جاءت من اعتباره مجال الإصلاح التربوي هو **فكرة تتطور وتتغير بتغير أهلها**، حيث يقول: "ولهذا كان أول ما دعونا إليه هو التفكير، وهو أن نفتح عقولنا وأذهاننا، ونسمح لأبصارنا وبصائرنا بالشك في كل ما يعرض علينا، ونعمل على أن لا نأخذ بفكرة أو نظرية إلا بعد تمحيصها وتطبيقها على ما هو منا وإلينا"[4]، ثم "أن الغرض التربوي من علم التربية والهدف المقصود هو الحصول على مقياس نستطيع بواسطته أن نعرف **مدى صلاحية نظام من النظم التهذيبية** وقيمة أي منهج من المناهج الدراسية"[5] وبذلك طرح علال الفاسي مجموعة من الأسئلة الفلسفية عن أغراض تعليم العلوم، هل هي لذاتها أم لغيرها؟ لكن الذي يحث عليه أن يكون العلم مؤديا إلى العمل كما سبق وأن ذكر الإمام مالك في الموطأ رحمه الله تعالى.

ثانيا: الدعوة إلى الاهتمام بعلم الاجتماع: لأن الاهتمام بقضايا الفكر الاجتماعي تربي في المتعلم والطالب الإحساس بالشعور الوطني والقومي من صغره، ما يجعل منه مواطنا صالحا لنفسه ولبلاده، خاليا من كل أنواع الفساد الفكري الذي يجعله معولا للهدم، وتلك هي مصيبتنا الاجتماعية الكبرى كما يقول الفاسي من حيث ضعف الشعور، ونقص الوعي القومي، لذلك فهو

يضرب المثال بحضارة الأمة الإسلامية مستغربا: "أين نحن من عصر الحضارة العربية يوم كان الجاحظ ينام في دكاكين الوراقين ليستمد مما عندهم، وكان ابن المقفع يسهر على نقل الحكمة القاصية بينما يقف الباقلاني واضرابه أنفسهم على سهر الليالي ذوات العدد رغبة في التوفيق بين العقل والدين"[6]، كما أن الشعور بقيمة خلق التفكير بالواجب تجعلنا في مرقى تصاعدي يحث على الاندماج والتكامل في تطوير العباد والبلاد، وعلم الاجتماع عنصر مهم من عناصر العلوم الإسلامية، إذ غالب النوازل تقع في الأوساط الاجتماعية، وإذا لم يتنبه المفكر والعالم والدارس لعناصر علم الاجتماع وطرق التفكير فيه فإن هذه النوازل تبقى مستعصية بل تحتاج إلى مدرك عالم بالقضايا وباحث في الدليل الشرعي ابتغاء للحكم المناسب إما اجتهادا أو قياسا، يقول رحمه الله: "إن التفكير بالواجب وأداءه في وقته من الأسس الضرورية للقدرة على المواظبة والخلق، وإنه ما دام لم يتسرب في نفوسنا فنحن لا نستطيع أن تأتي الأعمال إلا مبعثرة وغير خاضعة لترتيب مضبوط"[7]وهذا الاهتمام بالفكر جعله ينظر إلى الإنسان باعتبار عقله، وعلى تكوين الفكر فيه. والفكرة التي ينبغي أن نعبئها في العقل لابد أن تتوفر فيها شروط منها: "التقدمية، والتجديد والشمول والارتقاء والعمق" فالفكر يمثل الضابط للعقل الانسان من الانفلات نحو الضلال والتلف، ووظيفة هذا العقل هي النظر في الاقتصاد الإسلامي ومقارنته مع الاقتصاد الغربي مقترحا أننا في حاجة إلى تدريس علم الاقتصاد بأوجهه المتعددة، وأن نبين للناس منافذ الحلال في تجارتهم وفي تداول أموالهم، كما تحدث أيضا عن التفكير القضائي، وقال بأن السلطة القضائية ينبغي أن تكون معزولة عن أي سلطة أخرى، ثم الاهتمام بالقضاء باعتباره مشروعا يشكل العقلية المنحازة والمتشبعة بالدليل، ممتثلا برسالة عمر رضي الله عنه في القضاء وهي أنموذج نحن في حاجة ماسة إلى تدريسها في مكونات مختلفة؛ كالخلافة الراشدة أو في القضاء الإسلامي، دون أن ينسى الفكر السياسي ودوره الريادي في إصلاح شؤون تدبير ملفات الرعية بمن فيها مجال التعليم وإتاحته الحرية القادرة على الإبداع.

وبما أن علال الفاسي متخصص في مجال الفكر التربوي فإنه دائما يحُث على تحديد الأهداف، وخاصة تحديد المرمى من التربية منهجا وعلماً: "لأن التربية تستطيع أن تفعل الأعاجيب، هي التي تستطيع أن تُكوّن من أجيالنا العناصر الصالحة التي ترفع من قدر وطنها ودينها وأمتها، وإن ذلك لا يتأتى إلا إذا جعلنا الخُلُقَ هو الرباط المتين لكل المقاصد التربوية والتعليمية"[8] وهذه القيم هي التي ينبغي أن يتعلمها طالب العلوم الشرعية، ويدرك الأستاذُ حقها بالعمل، لأنها مُثُلٌ تأتي بالتدريب وتوجيه العواطف والميول، وهو ما يسمى عند الفاسي **بالتأديب النفسي والتهذيب الروحي**، وما أحوج طلبتنا في العلوم الإسلامية لهذه القيم لكي تكتمل جميع جوانبهم، لأن تعلم العلوم الشرعية بشكل جاف سيؤدي إلى تخريج طلبة لهم معرفة منعدمي الأخلاق، ولذلك فإذا أضيفت إليها القيم والمثل والأخلاق، فإن الطالب سيتخرج كاملا ويكون موسوعة، ويُعلمَ بصغار العلم قبل كباره، لأنه في موضع قدوة واقتداء.

ثالثا: اقتراح البرامج التعليمية موافقة لخصائص المواد: ومن فكر الفاسي رحمه الله أنه اقترح مجموعة من البرامج التعليمية في بعض من المواد منها "اللغة العربية والتربية الوطنية والتعليم الفلاحي، والتكوين المهني والتعليم الديني" وهذه الخبرة الاقتراحية يمكن ارجاعها إلى كون الفاسي رحمه الله يتجول في كثير من البلدان العربية والغربية، ثم أن تجربته في التدريس والتوجيه مكّنته من توليد برامج لهذه المواد، دون أن ننسى اطلاعه الواسع على الكثير من البرامج والمناهج الدولية، وإعمال مقارنات تربوية بتصحيح حالنا التعليمي مع الدول التي تتساوى معنا في مؤشري التنمية البشرية والوعي الفكري، والتي حققت إقلاعا في الجانب التربوي، كما كشف عن العدة المعرفية والبيداغوجية التي كانت الحماية الفرنسية توظفها في التعليم المغربي لكي تُكسر شوكة النضال الفكري، من إهمال اللغة القومية وتبديلها باللغة الفرنسية، إضافة إلى تقسيم التعليم المغربي إلى أقسام، الغرض منها تقوية تصريف المضمون المؤيد للحماية الفرنسية وتوجيه السلوك والقيم الغربية، ولذلك نجد التعليم اليهودي، وبجانبه فرنسي بينما التعليم الإسلامي والقروي لم يكن حظ أكثر لما كان لغيره.

رابعا: ومن فكره في مجال التدريس اقترح تشجيع التعليم المهني وحماية ذوي الكفاءات، ويدخل في ذلك صرف حملة العلوم الإسلامية في مهنة الإمامة والخطابة والتوجيه والإرشاد، فالتشجيع في هذا التكوين يحمي الدولة من مجال الإفلاس الاقتصادي، كما يعينها أيضا على التدبير وحماية الأمن الروحي لدى المغاربة من كل فكر دخيل، وفيها أيضا خلق جو من التداول بين الحاضرة والبادية، ويقول في آخرها: "هذه النقط الأساسية التي يمكننا أن نوجه إليها الذين يريدون وضع برنامج عام للحياة الاقتصادية في البلاد بصفة تتفق مع الشريعة الإسلامية ومقتضيات الأفكار التقدمية من غير إحداث أي انقلاب في الحياة المغربية... لأن ثروتنا العقلية والروحي كبيرة، وما علينا إلا أن نمتحن ضميرنا ونرجع لأنفسنا، وإذا بنا نكتشف المناهج المتعددة لتنظيم حالنا دون أن نضطر إلى الربا بتبعية معنوية"[9].

خامسا: الدعوة إلى ضرورة الانفتاح على البيداغوجيات الحديثة: لتسهيل استيعاب مناهج العلوم الإسلامية، وذلك رهين في – نظر الفاسي – بإعداد المعلمين العصريين القادرين على أن يسلكوا أحدث الطرق وأفضل المناهج، وخاصة التعليم الديني الذي ما يزال يتبع طريقة دراسة النصوص، مع أن الواجب يقضي بالتطور في هذه الأساليب والبرامج والأفكار، لأن العلوم الإسلامية هي علوم مرنة، تقبل التطور والتكيف مع مختلف التحديثات والطرق التدريسية أو الوسائل المساعدة، نظرا لكون أدواتها عملية وتهتم بواقع الناس أكثر فأكثر، ولعل الفاسي يقصد التعليم العتيق في حقبته الذي لازال متأخرا عن أشقائه العام أو الأصيل[10]، يقول الفاسي رحمه الله: "إن ترتيب السنين وتنويع الدروس لا يعطيان الفائدة المطلوبة منها إلا إذا كانا مصاحبين لأسلوب نافع صحيح، فإذا وجدنا الأسلوب يحقق ذلك الهدف فهو الأسلوب الصحيح النافع، وإلا فيجب البحث عن تعويضه بغيره من الأساليب تبعا لتجاربنا أو تجارب غيرنا"[11] والأمر بتجديد التكوين ينأى عن اتباع التقليد بله تجديده في النفوس، لأن طبائع الناس مختلفة إلا من حمل نفسه على نموذج يلزم به نفسه ويقتل روح الإبداع في ذاته.

ومن المسائل المتعلقة بالراحة النفسية وأثرها على التدريس "**تحسين حالة المدرس الاجتماعية**" فذلك تشجيع يحفزه على البذل والعطاء، يقول: "إن مما يزيد من تشجيع المعلم وتنشيطه وتحسين حاله المادية، فليس من المعقول أن تتطلب الأمة البذل والتضحية من هذه الثلة وحدها، بل على الشعب نفسه أن يعاون المدارس على تشجيع رجالها حتى يزدادوا تمسكا بمهنتهم وقياما بواجبهم"[12]. وهذا الأمر يدفعه إلى البحث وإلى تطوير أدائه لا من حيث طرق التدريس أو التقويم أو في تنويع الأساليب بما يتوافق مع طبيعة الدرس.

سادسا: الكشف عن مجموعة من التعثرات في مناهج تدريس العلوم:[13] فتجربة علال الفاسي في تدريس العلوم الإسلامية أظهرت له نوعا من القصور والضعف إن على مستوى المناهج أو البرامج، ولعل بعض الأسباب يرجع إلى الإدارة السياسية المتحكمة في البلاد، والبعض الآخر لأسباب ذاتية منها:

- غياب المتخصصين في المناهج والبرامج في علوم اللغة والتربية الإسلامية والعلم الاجتماع والتاريخ والجغرافيا والعلوم الإسلامية؛
- غياب كتابات تهتم بفكر التدريس ومقوماته وأسسه في علوم اللغة والتربية على المواطنة والتعليم الديني.
- عدم الاهتمام بعلوم التربية والعلوم الإنسانية التي تهتم بعلم النفس وعلم التدريس وتحليل العقل الإنساني؛
- تذبذب الرؤية الإصلاحية والاقتراحات في تقويم التعليم المغربي؛
- بنيوية المشاكل التعليمية وضعف الإحاطة والرؤية الشمولية لاستيعابها؛
- عدم الاستفادة من خبرات الدول المتقدمة في مجال التربية والتعليم من مصر ولبنان وسوريا على سبيل المثال؛

- التفريط في اللغة القومية التي بها تصرف العلوم وتغليب اللغة الأجنبية لغاية مادية؛
- ضعف المحتوى المدرس في البرامج وفي الكتب المدرسية، وخصوصا غياب التربية على المواطنة والتاريخ الإسلامي والمغربي على وجه الخصوص واللغة العربية وعدم شمولية العلوم الإسلامية؛
- عدم إعطاء فرصة للمدرسين ومكافأتهم على الاقتراح والإنتاج والملاحظة والتعقيب والمشاركة، رغم ما لهم من خبرة في التدريس؛
- العجلة في الإصلاح، فالإصلاح يبدأ من فكرة مخطط لها لينتهي بمشروع قابل للتنزيل ويلقى قبولا من جميع الفاعلين؛
- عدم الانفتاح على البيداغوجيات والنظريات الحديثة لتطوير التعليم الديني، لأنه لازال يرزح تحت وطأة التقليد والأساليب القديمة؛

وأخيرا فمن مظاهر فكره الخروج؛ بأن "**الرقابة السياسية أهلكت التعليم**": يعلل بالقول لأنها "تريد أن تمنع الذين يتعاطون التعليم من أداء مهمتهم القومية بدعوى أنهم يغرسون الحقد ويبثون العداء للأجنبي"[14]، وهو في هذا يريد أن يشنِّع على أرباب الحماية الفرنسية، وفي الوقت نفسه بعث رسائل مشفرة إلى القائمين على هذا المجال، ولذلك يؤكد بأننا في مرحلتنا الحاضرة لا نجد من المعلمين إلا فئة قليلة تتوافر فيها الشروط التي تطلبها المدرسة وتطبق فيها المناهج اللازمة، لأن القائمين بالأمر لم يفكروا في إعداد المعلم ولا تهيئته، بل كشف حقيقة مفادها **أن المغرب لا يتوفر على مدرسة تُخرج معلمين في التعليم العالي**، إذ كيف يمكن لهذا المدرس أن يُدَرِّس وهو لا يتوفر على قسط من التكوين البيداغوجي الذي يؤهله لمعرفة نفسية الطلبة وخصوصية المناطق التي ينحدرون منها، وطبيعة التعليم الذي تلقوه في المرحلة الثانوية وعن طبيعة التخصص الذي تعلموه في تلك المرحلة. إذن هذا الواقع الذي تخضع الأساتذة في المغرب يقترح علال الفاسي أن يعاد فيه النظر وأن تتوفر شروط أخلاقية وعلمية وعقلية في الذي يقبل على التعليم بمختلف أسلاكه وأن يخضع لتكوين يؤهله لمزاولة المهنة.

المحور الثاني: مداخل تدريس العلوم الإسلامية عند علال الفاسي

بناء على تحليل بعض تجليات الفكر التربوي عند علال الفاسي في المحور الأول، فقدت سعيت إلى الخروج ببعض المداخل التي يركز عليها في تقويم وإصلاح تدريس العلوم الإسلامية وهي كالآتي:

المدخل العلمي: إن الذي يقبل على تدريس العلوم الإسلامية لابد أن تتوفر فيه مجموعة من الصفات العلمية التي تؤهله للإدراك تبليغ التخصص، "فيجب أن يكون قبل كل شيء حاد الذهن مستنير الفكر قوي الذاكرة ذا ملاحظة صادقة وبداهة سريعة وفراسة نافذة، وأن يكون غزيرا في المادة التي يدرسها"[15]، وإذا كان غير ذلك فلا يصلح لتدريس هذه العلوم، وخصوصا العلوم الإسلامية، لأن الخطأ في الاستدلال والتأصيل وضرب الحجج ليس هيّنا، ولذلك اشترط القدماء رحمهم الله لدارس العلوم الشرعية أن يكون **ريانا في فقه معين**، وهذا لا يعني أن يكون مجتهدا فيه بقدر أن يكون محيطا بدقائقه ومعرفة مواطن اختلاف العلماء فيه، ومن الجميل أيضا أن تكون في ذهن المُدرس **العلاقة المنهاجية**[16] بين العلوم من حيث مواطن الالتقاء ومواطن الافتراق، لأن هذا الأمر يسهل عليه توجيه المعرفة بشكل نسقي. وهنا علال الفاسي يحثّ المدرسين كثيرا على التّخصّص الدقيق في علم إضافة إلى التزود بالثقافة في مختلف العلوم، لأن هذه الثقافة تبين مدى توفر الكفاءة الأساسية في المدرس في المعرفة الإسلامية لأن الناس متوقفون على المدرس لتخصصه وثقافته عن الواقع ومتعلقاته.

مدخل الشمول: ويمكن جعل هذا المدخل في سابقه، أي أن الدارس للعلوم الإسلامية ينبغي أن يحيط بضبط علم خاص ومعرفة مواطن اتفاقه ومزالق اختلافه، بتيسير إعطاء المتعلم ما يصلح له بحسب سنه وزمانه وحاجته، وإذا نظرنا إلى الشروط التي

وضعها علال الفاسي لهذا المعلم أن يكون: ريانا فيه، يحيط به قلبا وقالبا، ممتثلا لقول الإمام الجويني رحمه الله "حق على كل من يحاول الخوض في فن من فنون العلوم، أن يحيط بالمقصود منه، وبالمواد التي منها يستمد ذلك الفن، وبحقيقته وفنه وحده..، والغرض من ذلك أن يكون الإقدام على تعلمه مع حظ من العلم الجُمْلِيّ بالعلم الذي يحاول الخوض فيه"[17] وهذا النص وإن كان يتحدث عن المجتهد في العلوم الشرعية، فإن روحه تتجلى بوضوح في ما يلي:

1- **امتلاك التخصص في العلوم الشرعية:** وضبط مواطنها التداولية بحيث يكون فيها المدرس ريانا عارفا لدلائها الجُملية وخصائصها المعرفية والمنهجية؛

2- **المساعدة على الضبط العملي لتصريف هذه العلوم** مع تيسير تأدية الرسالة الشاملة للدرس؛

3- **سد حاجات الأمة ورغباتها** وأن تؤصل لكل قضاياها من القرآن والسنة وتراث السلف الصالح.

4- **التقدمية والمسايرة لمجريات الواقع،** لا أن يُدَرِّس الأستاذ المتعلم المعارف التاريخية التي لا يمكن أن نستفيد منها شيئا، فكل فكرة لا تعمل على توجيه الأمة صوب التطور والتقدم إلى الأمام فهي فكرة عميقة وعقيمة يجب رفضها ومحاربتها.[18]

5- **الموسوعية والشمول:** وهذا الأمر يعد ضابطا وركنا في كل عمل تعليمي يقوم به المدرس في العلوم الإسلامية، وهو ما يعرف بالكفايات النوعية، ويقرب من هذا ما قاله المناوي في "فيض القدير" وهو يصف المسالك المحمود الذي يقوم به الأساتذة، "فخيارهم من يستعمل سهولة الإلقاء، بنصح وتلطف، ومزيد بيان، وساكع برهان، ويبذل جهده لتقريب المعنى لفهم الطالب، ولا يفجَأْهُ بالمسائل الصعبة، بل يقرر له ما يحتمله ذهنه، ويضبطه حفظه، ويوضح لمتوقف الذهن العبارة ويحتسب إعادة الشرح له وتكراره، ويبدأ بتصوير المسائل وتوضيحها، ثم يذكر الدلائل وتوجيهها، ويقتصر على تصوير المسألة وتمثيلها، لمن لم يتأهل لفهم مأخذها ودليلها..."[19] والشمول يتعلق بجميع بإدراك مهنة التعليم من جانبها التكويني والرسالي والعلمي.

المدخل البيداغوجي: ويستحضر فيه علال الفاسي مجموعة من النواحي:

أولا: من حيث تكوين الأساتذة وامتلاك فلسفة حقيقية وصورة واضحة عن إصلاح التعليم؛ من خلال حسن التخطيط والتوجيه والتفكير الجيد،[20] وتجاوز العشوائية والارتجال في البرامج والمناهج والاستعجالية في تركيب المضامين والمعاني، بل إن تكوين عناصر الرأي العام مقدَّم على غيره من الاعتبارات، فعقول الناشئة ومستقبلها مقدم على المصالح الفردية التي توجه العملية ككل.

ثانيا: مهنة التدريس: الكثير منا لا زال عنده خلل: هل مهنة المعلم مطبوعة أو مصنوعة؟ "فليس من المعقول أو توكل للطبيعة من يعتمد على مجرد العطية، بل يجب أن يُنظر إلى المعلم على أنه رجل مكلف بالقيام لها قواعدها وأسرارها وطرق تطبيقها، ولذلك يلزم منا أن نُعدَّه كما يُعَدُّ أي صانع سواه"[21] أي أنه لابد من صناعة المدرس، وأن يكون التكوين اللائق به وبالمنطقة التي يدرِّس فيها، وأن تعطى لهذه المهنة نوعا من الحرية والتشجيع على غرار المهن الأخرى، لأنها تهتم بتكوين المنهج في العقول، وتربي المشاريع النورانية.

ثالثا: التجديد في فلسفة تدريس المعرفة الإسلامية: باعتبار أننا في حاجة ضرورية إلى تجديد هذا البناء الخالد (تدريس العلم) "عن طريق اعتماد المُثُل العليا الذي هو وجداننا القومي كغاية لكل عمل، واعتماد المؤهلات السامية كعناصر بقاء لابد منها للاستمرار والحياة"[22] وهذا التجديد يركز فيه علال الفاسي على كون العلوم الشرعية في حاجة إلى العلوم الأخرى، وهذا يقتضي توفر كفاءات علمية مزودة بثقافة من علم الاجتماع وعلم الاقتصاد وعلم السياسي.. والتي من خلالها تتجدد العلوم الإسلامية من حيث التنزيل لتبحث عن حكم جديد يتوافق مع عنصري النوع والكيف للنوازل والأحداث الجديدة، لأن علوم الشريعة أتت بالضرورة

لخدمة المجتمع، لكون أحوال المجتمع دائما في تجديد وتحديث وتحتاج إلى مواكبة وعناية من طرف المتخصصين في تدريس العلوم الإسلامية، وما أحوجنا الآن إلى تجديد باب الفقه وخاصة في مكون المعاملات المالية للنوازل الطارئة من بلدان المهجر.

كما أن التجديد المقصود أيضا منصب على تجديد تنزيل عناصر المنهاج، بتشريك المتعلم في تعلمه وتربيته على تحديد أهداف لنفسه، وإعطاؤه المعرفة التي توافق سنه وزمانه وحاجاته، كما ينبغي تجديد طرق التدريس، وعدم الإبقاء على التقليد والمحاكاة والإملاء، وهذا أكثر ما خمد عقول أبنائنا، بل لابد من اعتماد الطرق التي يكون فيها المتعلم متحركا وعمليا، وإضافة أنشطة مختلفة تتوافق مع طبيعة الدرس الأصولي أو العقدي من إحساس المتعلم بمشكل واقعي وتركه ينقب على الحلول والأحكام المناسبة، وأن تصاغ الاختبارات بهذا الشكل، وهذه المنهجية تجعل طلبتنا يكرهون التقليد ويبدعون فيا لتفكير والاجتهاد.

مدخل التكامل المنهجي بين العلوم الإسلامية والعلوم الأخرى: علال الفاسي يقترح في هذا الباب ضرورة اعتبار اللغة العربية على رأس جميع العلوم، إذ كيف يتم تصريف المحتويات المعرفية من دون إعطاء قيمة للغة العربية، بل هي من أساسيات المعرفة، وتملُّكها ييسر الكثير من الصعاب في أذهان الطلبة، وإن المؤتمر الثقافي الأول للجامعة العربية الذي شارك فيه علال الفاسي في مصر ليؤكد على "أن أساليب تعليم اللغة العربية محتاج في الجملة إلى الكثير من الإصلاح مهما كان البرنامج صالحا"[23] ، وتجاوز ذلك التعليم المجرد، والاهتمام بالتطبيق العملي وهذا من شأنه أن يجعل التضامن حاصل بين العلوم الإسلامية وبين المواد؛ علمية أو أدبية، وغياب هذا المنهج التكاملي جعل طلبة العلوم الإسلامية عبارة عن أوعية للعلم يحفظون البضاعة ويرُدُّونها إلى بالأستاذ، – وهذا له علاقة بالمدخل البيداغوجي – لأن الطلبة الذين يتخرجون من المعاهد العليا تلقوا العلم بالإلقاء والإملاء التجريدي.[24] فمثلا تعليم الإنشاء في المراحل الأولية والإعدادية بل حتى العالية فهو مثال الأسلوب الضعيف، لأن موضوعاته لا تستمد عناصرها من الاقتصاد والأخلاق والثقافة العامة، وبالتالي فهي موضوعات جافة، فالاقتصاد الإسلامي إذا لم يتم التطرق إليه عن طريق الكتابة الموضوعية كيف للتلاميذ أن يدركوه وهكذا مع العلوم الأخرى، وأما الاكتفاء بالحفظ فهو لا يركز إلا على المراقي السفلى من "الحفظ والاسترجاع" وأما العليا من "الاستنباط والاستقراء والاستنتاج.." فإن غالب الطلبة تبقى عندهم هذه الملكة ضعيفة إن لم تكن غائبة.

المحور الثالث: أثر فكر علال الفاسي في تجويد تدريس العلوم الإسلامية بالمنظومة التعليمية

إن هذا المحور يمثل عصارة هذا البحث، ولذلك فيجب ابتداءً الإيمان بأن لا تطور ولا تغيير حاصل للبلاد والعباد وتكون في مراكز العلم والمعرفة سواء في المدرسة والثانويات والجامعات غائبة، لأنه "إذا كان مستقبل الأمة فيما تستطيع أن تحدثه من انقلاب عقلي واجتماعي فذلك متوقف على المدرسة الجديدة التي تنير العقل وتهذب الخلق، وتطور المجتمع، والمعلم هو الدعامة الكبرى لتشييد هذه المدرسة، وإذن فهو الذي يحمل ضمان المستقبل السعيد"[25] والاهتمام بالمعلم هو اهتمام بمجال اشتغاله لعلاقته الوطيدة بالظاهرة الإنسانية العقدة.

إن علال الفاسي رحمه الله وهو يسعى إلى تجويد مقترحاته فقد كان يستعين بتجربته وخبرته في المجال من أجل اقتراح حلول تربوية تهتم بتدريس العلم سواء من مراكز علمية أو حركة وطنية أو جمعية مهنية، أو ما عاينه أثناء تدريسه أو ما سطرته الوزارة في إصلاح التعليم، ومن ذلك ما اقترحه من تنويع الأساليب والطرق البيداغوجية من تزويد المتعلم بأنفع المعارف وأيسرها لتبقى راسخة في ذهنه ليبقى السؤال: ما متطلبات تدريس العلوم الإسلامية بالمنظومة التعليمية وما سبل تطويرها في فكر علال الفاسي؟

يمكن الإجابة عن هذا السؤال من خلال العرائض الآتية:

- **ضرورة إصلاح التعليم الديني بمختلف أسلاكه وتغيير أساليب التدريس به:** ملاحظة علال الفاسي تكمن في اعتبار المدرسة مجالا لتكوين النخبة والمفكرين، ولكن ما دام رجل التعليم لا يحمل همّ التعليم، أو كيف يطوّر أداءه بالتعلم الذاتي والاجتهاد في ضبط المادة وحيثياتها فلن يستطيع إنتاج جودة للمخرجات، وقد ركز علال الفاسي على مادة اللغة العربية، باعتبار أن العمل على التطبيقات أثر إيجابي أفضل من المعارف المجردة والمعقدة والتي يستعصي على الذهن إدراكها، ثم في التعليم الديني وخاصة في التعليم العتيق أو تدريس المعاهد الشرعية؛ فيجب عليها أن تهتم بالتفتح البيداغوجي من الطرق الحديثة حتى تعطي لخصائص هذه العلوم قوةً وقبولا وقداسة، وإلا فإنها تبقى موادا يكتنفها الضيق عند متعلميها،[26] وكثيرا ما يردد علال الفاسي مثالا: "أن تكون أمة مثقفة وفيها متخصصين قلة، خير من أمة يكثر فيها المتخصصين ويكثر فيها الجهل" أضف إلى هذا الأمر أن يحبب أساتذة تدريس العلوم الإسلامية اللغةَ العربية إلى طلابهم، عن طريق التشجيع على صياغة إنشائية تحوي ما تم التعرف عليه في الدرس، خلافا للطريقة التقليدية التي تعتمد على الخيال والمعيارية.

وإن مما يميز العلوم الإسلامية في فلسفتها هو **الواقعية**، بحيث إنها تتعامل مع الإنسان، وتبحث له عن الأحكام الشرعية المناسبة، بل كثيرا ما تتطرق إلى النوازل المختلفة ليست الوطنية فحسب بل في بلد المهجر، وهذا يستدعي من المدرس أن يكون محيطا بثقافة الشعب الأجنبي الذي سكنه المسلمون، ولذلك فالفاسي اهتم بشكل كبير بالفكر، حتى اعتبره من الضروريات الاهتمام بالفكر الإسلامي وتدريسه خصوصا ما آلت إليه الأوضاع بعد الاستقلال، وأما الآن فإننا أحوج له من عصر الاستقلال، لظهور فرق تتدعي الإسلام وأخرى أبطلت بعض القواعد في أصول العقيدة الإسلامية، بينما "تدريس الفكر الإسلامي يوجب على معتنقيه النظر والتبصر والاعتبار بتقلبات الزمن والبحث المستمر عن اتجاهات الحياة ومحاولة التحكم في سير الأشياء وفقا لما تستدعيه مصلحة الإنسان الذي أنزل إلى هذه الأرض كي يخلف الإله فيها بالعمارة والإصلاح"[27]. ولذلك فنحن في حاجة إصلاح مهنة الأستاذية وخاصة في ديداكتيك العلوم الشرعية وتدريب الطلبة على آفاق البحث فيها، ليس في التعليم العالي فحسب، بل في المراحل القبلية، حتى يلج الطالب الجامعة وهو محمي من كل الأفكار المشوشة، ثم آليات البحث والتنقيب لدفاع عن أفكاره.

- **الدعوة إلى إصلاح برامج ومناهج العلوم الإسلامية**[28] من الفساد الموجود فيها وتنويعها وتوحيد برامجها وتجديدها، يقول الفاسي "وإذا قلنا **التوحيد في المناهج** فلا يفهمن من كلامنا أننا نريد التوحيد في كل مواد الدراسة، وإنما نعني الوحدة في هدف التعليم وفي الحق الذي يخوله لكل أحد أن يسأله، ثم أصول التربية والتعليم الضرورية للخميرة العامة للمعرفة. **أما وحدة البرامج** فهو أن يشترك الأبناء كلهم في الحصول على بعض الأسس للازمة لكل برنامج، فيتعلمون فيها اللغة القومية والتاريخ الإسلامي والتربية الوطنية وأصول الدين والأشياء والرياضة البدنية، وما يناسب ذلك من وسائل السلوك العام والتربية الاجتماعية وبعض التجارب اليدوية بحسب الجهات"[29] وفضيل هذا التقسيم في تدريس العلوم الإنسانية هو توجيه التلامذة التوجيه الصحيح الذي تكتمل به خميرة العلم والمعرفة، وكم نحن في حاجة إلى هذا التوجيه في تعلمينا، فالفارق حاصل بين التعليم الابتدائي والإعدادي، والأمر نفسه بين التعليم الثانوي والتعليم العالي، وغياب هذه السيرورة التوجيهية يؤثر بشكل سلبي على مستوى المخرجات التعلمية فنسأل الله تعالى أن يحسن حالنا.

- **الاهتمام بمضامين البرنامج في العلوم الإسلامية في الأسلاك التعليمية:** من خلال جعل المضمون خادما للفئة التي تستهلكها، أو تنظيم محاضرات علمية متخصصة وظيفية ويمرّر هذا المحتوى إلى جميع شريحة المجتمع من الأطفال والشباب والرجال والكهول والنساء يقول الفاسي: "يمكننا أن ننظم بكيفية منهجية محاضرات عامة تابعة لكل مدرسة حرة إدارية، كما يمكننا أن ننظم في المساجد دروسا منهجية ومرسلة في النحو واللغة والتفسير والحديث والفلسفة والأخلاق وغيرها من تراث المعرفة الإسلامي... ويمكن كذلك أن تكون هذه المحاضرات والدروس منسجمة في شكل علاقة بين المسجد والمدرسة والنادي ينسقها

ويشرف عليها لجان من خيرة الأفراد"[30] إنما اهتمام الفاسي رحمه الله بالتكوين لمدرسي هذه العلوم في مختلف المستويات لأن ذلك يمثل المعيار الضابط لنجاح البرنامج المعرفي ويدل على جودة المناهج – التي لطالما يكرر بضبطها وتوجيهها الاتجاه الصحيح –، وجامعتنا اليوم هي في حاجة إلى توحيد البرنامج بين طلبة العلم الشرعي، وأن تحدد نسقية العلوم بالجامعات وأن تضبط محتوياتها وأن لا تترك على عواهنها بالحرية والاختيار، وإنما للضبط والانضباط بما يحقق الوظيفية وبما يساير واقع العلوم الإسلامية وحال الناس اليومي. **وأما مقدار ما ينبغي أن يصرف للكبار المنقطعين عن الدراسة:** فهو القراءة والكتابة والحساب والمقاييس والمكاييل والموازين المعمول بها في البلاد وأصول الدين ومبادئه، وقسطا من الثقافة العامة، ويمكن إدماج منهج يرسخ العلوم الإسلامية من جانبها المبسط وأن لا تفقد الأمة هويتها وثقافتها من علوم الإسلام جميعها، لكن ليس بطابعها الإجرائي، وإنما بالشكل المركب والمندمج. ونلحظ في هذه المواد أنها تحتوي على مختلف العلوم الوظيفية التي لها علاقة بواقع الناس ومعاملاتهم كالحساب في المواريث والتجارة، وأصول الدين في الاعتقاد والعبادة، والثقافة العامة في تفسير أحداث الناس المتعددة.

- **ضرورة توظيف التقنيات الحديثة في تدريس هذه العلوم** وذلك للمميزات الآتية:

- استغلال الوقت وتصريف أكثر عدد من المعارف وتربية الطالب على الضبط والالتزام؛
- استجلاب أكثر للأمثلة الواقعية وجعلها مضمونا يتعامل معه الطالب للإيجاد حكم شرعي مناسب مثل النوازل في مختلف العلوم الشرعية وبحسب كل مستوى، ولما لا أن تخصص وحدة عن ضوابط تدريس النوازل الفقهية في العالم الإسلامي بالجامعة؛
- الاشتغال على التطبيق والتنزيل أكثر من الاعتماد على الإلقاء والتنظير لأن هذا الأخير لا ينمي قدرات الطلبة بقدر ما يقتل باعث الاجتهاد والتجديد فيهم؛
- الانفتاح على الطرق البيداغوجية التي تتساوق مع خصائص علوم الشريعة من الاستنباط والاستقراء والتتبع وإيجاد حل للمشاكل اليومية؛

- **اقتراح أن يكون هناك التكامل المنهجي بين التخصصات:** فمثلا الذين يدرسون علوم المهنة أو الاقتصاد والتجارة، لا ينبغي لهم أن ينفصلوا إلى ذلك العلم جُملة، بل لا بد من دراسة المفاهيم الأساسية للعلوم العقلية، حتى تكون عندهم الثقافة من ذلك العلم، حتى إذا انقطعوا عن علم الصناعة وعادوا إلى التعليم الإسلامي أو الإنساني وجدوا المفاهيم والمصطلحات التي قد تساعدهم على تدارك الأمور، وهذا أثر نسقي يراعي التكامل المنهجي بين العقلي والمهني وغيره.[31] فخبرة علال الفاسي في التخصصات من علم الاجتماع، وعلوم الشريعة، والتربية والبيداغوجيا مكنته من توصيف العلاقات بين العلوم، وخصوصا العلوم الإنسانية أو التي تشتغل على الأنسان وتوظف النص الشرعي في الحياة وفي المعاملات.

فإذا كان النص الشرعي يسعى إلى خدمة الإنسان برعاية مصالحه وجلبها وتقريبها، وإبعاد المفاسد وتقليلها فإن العلوم المادية والعقلية هي التي النواة التي تستخرج منها هذه المقاصد في إطار إيجاد التعليل الشرعي الذي يتناسب مع حال الإنسان.

ومن هذا التكامل؛ اقترح علال الفاسي **لتدريس علم الفلاحة ومشتقاته في المدارس القروية**، هذا العلم الذي ينساق مع قول عمر رضي الله عنه "من أحيا أرضا ميتة فهي له"[32] تساعد أبناء الفلاحين على تعلم قواعد الفلاحة حتى يكون لهم في مستقبلهم دخل يساعد القرية حتى لا تكون عالة على الحاضرة وهذا آفاق من أفق تدريس العلوم الشرعية وخاصة باب المعاملات.

- تأسيس مدارس خاصة بتعليم دوي الأمراض وخاصة "ذوو العاهات" وضمن مدخل الشمول السابق: أن تكون لذوي العاهات مدارس يتكونون فيها اقتداء بما فعلته بعض دول أوروبا من ابتكار مسائل للقراءة والتعلم حتى لا يكون هذا الإنسان يحس بعاهتين بدل واحدة، يقول واصفاً الحال: "وملاجئ العمى عندنا كلها ما تزال بعيدة على هذه الوسائل العصرية، بل حسبها ما كانت عليه من إيواء وإطعام وتعاون اللاجئين إليها على السؤال والبحث عن وسائل لتوسيع دائرة الإحسان، فواجب الدولة أن تؤسس لهؤلاء

المنكوبين مدارس خاصة تدربهم على ما يلزمهم من معرفة وصناعة حسب أحدث الطرق وأقربها للفائدة"[33] ومن آفاق التدريس أن تخصص معاهد لذوي الاحتياجات تدرس العلوم الإسلامية لهذه الطائفة وذلك:

- **الاهتمام بالبحث العلمي في تدريس العلوم الإسلامية، ومعالجة قضايا الأمر الراهن:** بالتركيز أساسا على مجال الفكر الإسلامي والإنساني وما يعرفه من تقلبات متعددة وأن يكون شاملا لجميع مناحي الإنسان، وتربية فكرة في ذهن الطالب خير من تلقينه أفكارا كثيرة، وأيضا تدريب الطلبة على التفكير القضائي، إذ الشريعة في هذا المجال قننت التشريع القضائي، وتدريس رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه للأبي موسى الأشعري في القضاء للطلبة حتى يتم استيعاب هذا المجال[34]، وعمل بحوث مقارنة في هذا المجال قصد تبيين مميزات القانون القضائي الإسلامي عن القانون الوضعي، إضافة إلى الاهتمام بالتفكير الاقتصادي وعمل ميزان المقارنة بين الاقتصاد الإسلامي وطرقه الشرعية وغيره من القوانين الاقتصادية الرأسمالية والاشتراكية والشيوعية التي تنحاز لفئة دون أخرى، ومحاربة الربا التي ينخر رأسمال الشعب والإبقاء على البنوك الإسلامية كتلك التي أسست في عهد الحركة الوطنية بفاس، بحيث إنها كانت لا تتعامل بالربا وعرفت إقبالا من طرف أهل فاس، لكن الحال كما يصف علال الفاسي عامرة بالتقليد يقول: "إن حاضرنا العلمي أفقر من أن يسد حياة شبابنا، وحاضرنا الفكري أضعف من أن يواجه الأفكار المتعددة التي تفتح معارضها أما عين الطالب النشيط، ولكن لنا مع ذلك الحق في أن نوجه باسم الفكر الحر الإنساني هذه النصيحة العربية الغالية: "أنظر وفكر ولا تقلد"[35] فالتفكير هو الإيمان بقيمة البحث العلمي التي يقوم بها الإنسان، مع التفتح عما يتحكم فيه بوضع المناهج والقدرة على تحقيقها وإيجاد السبل للقضاء على مختلف الظواهر، والقيام بتجارب علمية تحقق في نسب العلوم الإنسانية وتضع نتائجها تحت المجهر والتدقيق فيها لنساير بذلك الأمم التي أصبح فيها المختبر تعويضا عن التقدير والفكر عوض التأمل العشوائي، وحاجة الأمة عوض حاجة الفرد الشخصية، كما ينبغي محاربة كل ما يخالف العلوم الإسلامية من التخريف والعادات المضللة الموروثة عن الغرب، وأن ندقق النظر في كثير من مسائل علم الفقه التي توارثها المغاربة وتخصيصها بالاستقراء والاجتهاد بحثا عن حكم شرعي يناسب الحال والمآل، كمسألة التعدد في الزواج وتحقيق مصطلحي الحرية والمساواة... ولذلك فالبحث العلمي يحرر الطالب من روح الجمود العتيق والانزواء من التقليد نحو التجديد والاجتهاد.

- **الدعوة إلى تخصيص هيأة للتكوين:** وفي ثنايا هذه الهيأة أن تكون من أهل التخصص الدقيق في جميع العلوم الإنسانية، تقوم بالبحث من أجل استنباط الأحكام الشرعية لقضايا الناس المتعددة، وقد ركّز الفاسي بالضبط عند علوم الصحة، والقضاء عليها عملا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم "**مَا خَلَقَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا وَقَدْ خَلَقَ لَهُ دَوَاءً**"[36] بل اعتبر أنه يجب تكوين هيئة خاصة للتفتيش والإرشاد، وجعل التعليم الوقائي إجباريا في المدارس كلها اقتداء بعبارة الأطباء الوقاية خير من العلاج. والله المستعان.

خاتمة وتوصيات

إن مما استنبطناه من خلال فكر علال الفاسي في مجال تدريس العلوم الإسلامية واللغة العربية والتربية الوطنية هو **غياب الكتابات التنظيرية في ديداكتيك هذا المواد**، وهذا العنصر قد يجعل الكثير من شبابنا ممن يتعاطون هذه المهنة الشريفة الإقبال على ما عند غيرنا من الغربيين فيقتبسه بحرفه مما يجعله يفقد ويضيّع هويته القومية وعدم تشغيل دماغه من أجل الإنتاج يقول علال الفاسي: "إن شبابنا جائع غرثان، وإن ما يتغدى به الآن هو ما يكتبه غيرنا من الغربيين، وإنه ليقف موقف الحيران التائه الذي يدفعه الجوع ليلتهم ما يجده أمامه دون فحص ولا تدقيق"[37] وبالنظر في واقع ديداكتيك العلوم الإسلامية لا نجد إلا ماسترا واحد أو اثنين في المغرب هو الذي اهتم بهذا المشروع، مع العلم أن العرب عامة والمغرب خاصة في حاجة ماسة إلى أكثر من ذلك نظرا لأن تخصص العلوم الإسلامية يدرس بجميع الكليات، بل هو التخصص الغالب في الجامعة ويمثل تقريبا نحو 40 بالمئة من جميع التخصصات، وأن يتم التنسيق بين المتخصصين العرب من أجل تبادل الخبرات في مجال تدريس العلوم الإسلامية، وهذا الأمر

يخص من أفنى عمره في التدريس من أجل أن يسطر للمبتدئين تجاربهم وخاص في التعليم العالي، لأنه المجال الأفقر من حيث التأسيس النظري لديداكتيك العلوم الإسلامية، وتنظيم دورات تدريبية وتكوينية من أجل توسيع دائرة الإنتاج العلمي.

كما نستنتج أيضا أن علال الفاسي كثيرا ما كان يقتبس من رواد التفكير الاجتماعي ما يساعده في بناء الإصلاح التربوي مثال ما كان يقوله فولتير "إذا أردت إنهاض شعب فعلمه كيف يفكر" وهذا الفكر هو الذي يؤدي برجال التدريس إلى إنتاج نبغاء ومتخصصين يعرفوا للمواد حقها وللمعلومة قدرها، وللطلبة ضالتهم في بحر المعرفة الوظيفية وتجديد الوعي في أذهان المربين والمعلمين.

وبذبك نؤكد صحة الفرضيات المطروحة آنفا من كون:

4- كتب التراث المغربي يزخر بالعديد من الآراء التربوية التي يمكنها أن تقدم لنا مصوغا يرقي من مخرجاتها، ويجود من مراقي طلبتنا في العلوم الشرعية؛

5- آراء علال الفاسي – رحمه الله – هي فكر إصلاحي انبثق من خبير خبر مجال التدريس: تخطيطا وتنفيذا وتقويما وهي من الحل الذي يُقَوِّمُ منهاج تدريس العلوم الإسلامية؛ وقد لاحظنا كيف استطاع هذا الرجل من معالجة الفكر الاجتماعي بنظرات مختلفة: الوصفية، والتحليلية والنقدية والتصحيحية...

6- لا سبيل إلى تجويد تدريس العلوم الإسلامية بالمنظومة المعاصرة إلا من خلال الرجوع لكتب التراث ونخلها وإدراك واستيعابها، وفيها إشارة إلى الرجوع إلى ما ألفه علماء سبقوا علال الفاسي رحمه الله كالإمام اليوسي صاحب كتاب "القانون" وأيضا الإمام الماوري صاحب "الرسالة المفصلة في أحكام المعلمين والمتعلمين" وأيضا "في أدب الدنيا والدين" وكذلك العالم ابن جماعة في " تذكرة السامع والمتكلم في أداب العالم والمتعلم" وكتاب "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" للخطيب البغدادي، ومن المتأخرين العالم التونسي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه "أليس الصبح بقريب" وغيرهم...

وبناء على ما سبق:

نوصي بأهمية دراسة الفكر التربوي عند علماء الإسلام، لأنه بلا شك يحمل في طياته الكثير من الحلول لمشاكل التعليم في الوقت الحالي؛

كما نوصي فتح آفاق علمية متخصصة في دراسة ديداكتيك العلوم الشرعية والتربية الإسلامية، باستثمار فكر الأولين وتنزيله والتعريف بجهودهم في التربية والتعليم والتدريس؛

عقد لقاءات وندوات وورشات توجيهية بين المشرق والمغرب غرضها عرض وتحليل آراء العلماء والمفكرين في مجال تدريس العلوم الشرعية، إذ فالسبق المنهجي التنظيري للمشرق؛ فكل ذلك يزرع آمالا في قلوب الأساتذة وفي الإدارة التربوية للدلالة الصريحة على اهتمامكم بهذه الشريحة التي تسهر على تكوين العقول وتسخير الجهود من أجل بناء مواطن الغد. وصلى الله وسلم على آله وصحبه أجمعين.

الحواشي الهامشية

[1]– الفاسي علال، النقد الذاتي، مؤسسة علال الفاسي ط7 سنة 2002م – 1422هـ ص204.

[2] – التحديث الذي طال جامعة القرويين بالظهير الشريف الصادر في 25 يونيو 2015 تحت عنوان "تنظيم جامعة القرويين" وصدرت مذكرة من وزارة التعليم العالي رقم (4800/06) والتي تنص على إلحاق الكليات التابعة لجامعة القويين للجامعات التي هي في نفوذها الترابي، وبناء على النظام الجديد، سيدخل تحت جامعة القرويين عدد من المؤسسات والمعاهد من أهمها، دار الحديث الحسنية، ومعهد محمد السادس للقراءات والدراسات القرآنية، ومعهد محمد السادس لتكوين الأئمة والمرشدين، والمعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، ومعهد الفكر والحضارة الاسلامية بالدار البيضاء، إضافة إلى جامع القرويين للتعليم النهائي العتيق وعهد أبي بكر الصديق بفاس، بينما كليتا الشريعة وأصول الدين أصبحت تابعة للجامعة التي تحت نفودها الترابي، ولا ندري في الحقيقة علة هذا الإصلاح، إن كنا نرى أن كانت تخضع لنظام بيداغوجي منضبط!!؟

[3] – وكتبه لا تخلوا من إشارات واستطرادات عن الإصلاحات التي قام بها، بحيث إنه خصص كتابه "النقد الذاتي" للإصلاح الاجتماعي، وخص شقا منه للإصلاح منظوم التربية والتكوين بالتعليم الأولي والثانوي، وذكر بعض الإشارات عن إصلاح التعليم العتيق في كتابه "دفاع عن الشريعة" وأما التعليم العالي فقد أومأ إلى حرية البحث العلمي في كتابه "مقاصد الشريعة ومكارمها" ص259 من الطبعة الخامسة 1993م .

[4] – الفاسي علال، النقد الذاتي ص386.

[5] – الفاسي علال، النقد الذاتي ص284 بتصرف.

[6] – الفاسي علال، النقد الذاتي ص35.

[7] انظر ص 38 من كتاب النقد الذاتي، لتأصيل هذا الأمر شرع الله لنا الصلاة والزكاة ليعلمنا التفكير بالواجب ويدربنا على أدائها في أوقاتها التي لا تقبل التأخير، وهذا عامل من عوامل تدريس العلوم الإسلامية بالضبط والالتزام.

[8] – الفاسي علال، النقد الذاتي ص287.

[9] – الفاسي علال، النقد الذاتي ص204.

10– أما والآن فالحمد لله هناك مبادرات من أساتذة أفاضل حصَّلوا تكوينات بيداغوجية مكنتهم من التعرف على مداخل تدريس العلوم وعلى أسسها البيداغوجية فتطوَّر أداؤهم فتطور محصول تلامذتهم.

[11] – الفاسي علال، النقد الذاتي ص303.

[12] – الفاسي علال، النقد الذاتي ص314.

13– كما تحدث علال الفاسي في فصل مهم من كتابه "النقد الذاتي وبعض الاستطرادات في مقاصد الشريعة" عن مناهج التعليم، وبينها بيانا شافيا

[14] – الفاسي علال، النقد الذاتي ص313.

[15] – الفاسي علال، النقد الذاتي ص312.

[16] – نقصد بالعلاقة المنهاجية: أن يدرك المدرس تلك الروابط والوشائج التي تجمع العلوم، من حيث أهدافها ومضمونها ومخرجاتها ونتائجها، أي الأسس المعرفية والمنهجية التي تلتقي عندها.

[17]– الجويني أبو المعالي، البرهان في أصول الفقه، تحقق: صلاح بن محمد بن عويضة دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 1997م 1418هـ – ج7/1.

[18]– الفاسي علال، النقد الذاتي ط 2002م، ص84 –88 (بتصرف).

[19] – المناوي محمد عبد الوهاب، فيض القدير، المكتبة التجارية الكبرى مصر سنة 1356هـ ج127/4.

[20] – يقول في هذا الأمر: "لنثر على عادة الارتجال، ولنكن أقدر على الإعداد والتحضير حتى نستطيع أن ندرس في أناة، ونعمل في سعة، وننجح في الإبان، ولا يكون حظنا في الندم على ما فات" النقد الذاتي ص35.

[21] – الفاسي علال، النقد الذاتي ص311.

[22] – الفاسي علال، النقد الذاتي ص363 بتصرف.

[23] – الفاسي علال، النقد الذاتي ص304

[24] – فعلال الفاسي أظنه يقصد منهجية تعليم اللغة والعلوم الإسلامية بالتعليم العتيق، إذ التجريد المقصود هنا هو "أن قواعد النحو والصرف تعلم مجردة من غير عرض أمثلة كثيرة ودون مرانة طويلة مما يجعل القواعد في جانب والحياة اللغوية العملية في جانب" ويربط هذا الأمر بعدم معرفة التضامن العملي والمنهجي بين مواد كالجغرافية والتاريخ...النقد الذاتي ص 304.

[25] – الفاسي علال، النقد الذاتي ص314.

[26] – والحمد لله هناك من الوسائل ما يجعل الأستاذ يرقي بأسلوبه في هذا المجال من خلال ضبط علم مخصص بعينه، وتكوين ثقافة عامة عن العلوم الأخرى

[27] – الفاسي علال، النقد الذاتي ص105 بتصرف.

[28] – وقد قدم منهجية تدريس اللغة العربية، وهي إذا اقتبسنا تلك المنهجية فهي تصلح لتدريس العلوم الإسلامية وخصوصا لتوفرها على أربعة شروط مهمة، الأول: التدرج في المعرفة، الثاني: المعرفة الوظيفية، الثالث: استثمار محيط التلميذ لتصريف المعرفة لأنه غني بالأمثلة، وأخيرا: مراعاة التكامل من المواد وإعطاء للمتعلم صورة نسقية تكاملية بين جميع المواد.

[29] – الفاسي علال، النقد الذاتي ص308–309 بتصرف

[30] – الفاسي علال، النقد الذاتي ص322

[31] – وقد أعطى نماذج عن هذا الضابط في ص316، من أجل إدراج المواد العلمية ضمن المدارس المهنية قصد التثقيف والتوعية الشاملة، باعتبار أن الدولة في حاجة إلى كافة التخصصات.

[32] – البخاري محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري كتاب المزارعة، باب من أحيا أرضا مواتا من دون رقم تحقيق: مصطفى ديب البغا دار ابن كثير، اليمامة بيروت، الطبعة الثالثة ، 1407 – 1987

[33] – الفاسي علال، النقد الذاتي ص329.

[34] – والحمد لله فهذا يدرس بكليات الشريعة والقانون بالمغرب.

[35] – الفاسي علال، النقد الذاتي ص43، والكتاب الذي يحث فيه علال الفاسي عن تجديد البحث العلمي واعادة النظر هو في كتابه مقاصد الشريعة، إذ تجد بعض الاستطرادات في هذا القبيل.

[36] – الطبراني سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، باب الألف معجم من اسمه أحمد رقم الحديث: 1564 من تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة بدون طبعة وبدون تاريخ.

[37] – الفاسي علال، النقد الذاتي ص42.

المصادر والمراجع:

- الفاسي علال، مقاصد الشريعة ومكارمها الطبعة الخامسة المغرب 1993م.
- الجويني أبو المعالي، البرهان في أصول الفقه تحقق: صلاح بن محمد بن عويضة الطبعة الأولى بيروت – لبنان دار الكتب العلمية 1997م 1418هـ.
- مذكرة وزارية رقم (4800/06) وزارة التعليم العالي بالمغرب الصادرة في 25 يونيو 2015 تحت عنوان "تنظيم جامعة القرويين"
- البخاري محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري تحقيق: مصطفى ديب البغا الطبعة الثالثة، اليمامة بيروت، دار ابن كثير، 1407 – 1987.
- المناوي محمد بن عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير طبعة مصر المكتبة التجارية الكبرى سنة 1356هـ.
- الطبراني سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة بدون طبعة وبدون تاريخ.
- الفاسي علال، النقد الذاتي ط7 المغرب مؤسسة علال الفاسي سنة 2002م – 1422هـ.